حضارة اليمن القديم

امتداد للحضارات القديمة واثر اليمن في الفتوحات الاسلامية

زيد بن علي عنان
وكيل الهيئة العامة للآثار ودور الكتب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا خاتم النبيين وعلى آله ومن اهتدا بهديه الى يوم الدين ...

وبعد فانه لا بدّ من عرض نبذة سريعة عن جزيرة العرب ومهبط الانبياء ومهد الحضارات وقد تفضل الله سبحانه وتعالى على هذه الجزيرة بخيرات لم تكن فى غيرها فى عصور سحيقة جدا من جاء ناعم هادء وأمطار غزيرة منذ آلاف السنين.

ان جزيرة العرب التى شيدت اعظم الحضارات فى العالم كانت حافلة بالخصيب منذ خمسين ألف سنة بعد الطوفان كانت فى خير وفير ورغد عيش هنى فى الوقت الذي كانت اوروبا مغطاة بالثلوج التى لم تسمح أن يعيش مخلوق على سطحها فكانت الامطار الغزيرة متتابعة فى كل فصول السنة حتى كثرت الانهار الجارية من الشمال الى الجنوب فى هذه الجزيرة ونتيجة، ونتيجة لذلك تكونت الغابات الكثيرة والبحيرات الواسعة، فازدهرت الزراعة وتربية الدواجن الاف السنين ولما تحول المناخ وساد الجفاف فى الجزيرة العربية ولعلها حدثت تقلبات ارضية فانطمرت هذه الغابات والبحيرات وبفعل الضغط والحرارة تكون فى باطنها الذهب الاسود لأمر يريده الله لهذه الجزيرة لتكون مركزا وسطا لرخاء العالم وازدهاره وحضارته كما نشاهده اليوم. وبسبب الجفاف الطويل الممتد الى الاف السنين هاجرت الاقوام العربية السامية نسبة الى سام بن نوح عليه السلام من كلدانيين واشوريين وبابليين وفينقيين وحبشيين الى العراق والشام والحبشة ومعظم ساحل افريقيا وكان اليمن مصدر هذه الهجرات التى كونت حضارة بابل وآشور ومصر السفلى واكسوم الحبشة غير أن اليمنيين الذين لم يهاجروا اتجهوا الى وسائل الري التى تقيهم الجفاف الذي ساد الجزيرة العربية فحفروا الأبار وشيدوا السدود والصهاريج انتظارا لهطول الامطار وكانت الأبار قد شيدت والسدود فى اليمن ويقول بعض العلماء ان اليمنيين هم أول من دوجن الدواجن مثل الغنم والماعز وغيرها وحملت الأقوام المهاجرة الى الوطن الجديد ويقال ان الجفاف دام عشرين ألف سنة هذه نبذة ولمحة سريعة عن الجزيرة العربية ودور اليمن فى حضارة الشعوب العربية.

فلنعد الان الى الحديث عن تاريخ اليمن وحضارته الغابرة.

عـــاد :

عاد يسكن الاحقاف كمركز لها وكانت عاد قوية وهى أول امة فى اليمن بعد الطوفان وليس لدينا من اخبارها الا ما قصة الله تعالى فى القرآن الكريم قال تعالى مذكرا لهم بنعمة حينما ارسل اليهم النبى هود عليه السلام قال (واذكروا ان جعلكم خلفا من بعد قوم نوح) كما ذكرهم بما تفضل عليهم من جنات وعيون ومن الغريب حقا ان معبودات قوم عاد هى بعينها معبودات قوم نوح مثل نسر ويعوق ويغوث وود وما يزال فى غيمان مقبرة يعوق ويغوث وفى مسند الجوف الضم ود وقد بالغ مؤرخوا المسلمين فى وصف قوم عاد وفتوحاتهم وعظمة ملوكهم مثل شداد بن عاد والهمال وقد بالغ المؤرخون فى طول اجسامهم واعمارهم بما لا يوافق حقيقتهم كبشر من ذرية ابو البشر آدم عليه السلام. وكانت عاد تتكلم العربية الفصحى ولم يبق من اثارهم باقية بعد هلاكهم بالريح العقيم وبقى منهم من آمن بالنبى هود وقبره مشهور الى الآن بمخلاف حضرموت ووجدنا فى الجوف بعض اعمدة يطلقون عليها بنات عاد والله تعالى اعلم.

ثمـــود :

وجاءت بعد عاد ثمود كما فى القرآن الكريم والا نعرف احدا من اسماء ملوك ثمود وفتوحاتهم ويقول بعض مؤرخى الاسلام أن ثمود ملئت ما بين عدن ومكة المكرمة وأن قوم سبأ اجلتهم الى اطراف الشام وارسل الله اليهم النبى صالح عليه السلام فكذبوه وعقروا ناقة الله فاهلكوا وقد عثر العلماء على خط ثمودي فى الحجر والصفا وعدوه فرعا من الخط المسند الحميري كما اخبرنى من عثر على خط ثمودي فى اليمن وقال تعالى لثمود « وأذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم عاد » هذا ما نعرفه عن عاد وثمود وهم يمنيون طبعا.

دولة سبأ :

ليس هناك حقائق واضحة عن مبدأ دولة سبأ ويقال أن هذه الدولة قديمة جدا وأن اول ملوكها هو سبأ واسمه عامر كان يعبد الشمس فسمى عبد شمس كما انه سمى سبأ لكثرة سببيه هذا وأن عرب اليمن بل وسائر العرب تنتسب الى قحطان قديم وان العاديين فرع من القحطانيين وقد أكد هذا القول الاستاذ جبر ضومط فى محاضرة القاها فى الجامعة الامريكية فى لبنان قبل نحو خمسين سنة اكد فيها ان القحطانيين عريقين بسكن اليمن وانهم انقسموا الى حذمين أو قسمين، قسم ذهب الى شمال الجزيرة وكوّن حضارة بابل واشوار وغيرها، وقسم اوجد من بقى فى اليمن وهم العاديون والسبائيون، وعاد ظهرت بعد قوم نوح عليه السلام أي بعد الطوفان كما سبق بيان ذلك وان دول ما بعد الطوفان قديم جدا يرجع الى عشرات الالوف من السنين، كما جاء ذلك عن المؤرخ الكلدانى بروسوس وهو فى القرن الثالث قبل الميلاد، وان هناك شعوب ودولة كثيرة لا يعلمها الا الله سبحانه قال تعالى « وعاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا » وسبأ من قحطان بن هود ابن عابر بن فالخ بزار فخشد بن سام بن نوح عليه السلام وهذا منقول عن التورات ومهما كان صحة ذلك فى هذه الروايات فانها تشير

الى لمحات تاريخية جليلة. وأن سبأ هو ابن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود قال : نشوان بن سعيد الحميري فى قصيدته المشهورة :

وسبأ بن يشجب وهو أول من سبأ   فى الحرب قدما كل ذات وشاح

وقال آخر :

ورثنا المجد من جد فجد   وراثة حمير من عبد شمس

هذا وكان لسبأ ولدان الاكبر اسمه حمير والاصغر كهلان ولما حانت منية سبأ قيل أنه جمع رؤساء دولته واخذ منهم العهد على أن حمير يتولى الملك وكهلان يتولى حماية الثغور وهذه الشوري تذكرنا بشوري بلقيس وعلى كل حال ليس لدينا من الادلة التى مرجعها الاثار الا فى حوالى القرن السابع قبل الميلاد كما جاء ذلك فى النقوش التى عثر عليها علماء الاثار فى الجوف ومأرب كما عثرت عليها اثناء مراقبتى للبعثة الامريكية التى جاءت للتنقيب فى مأرب ايام الامام احمد. وقد وجدنا هذه الاسماء وقد سبق نشرها من قبل علماء الاثار كما جاء فى تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجى زيدان وغيره. بدأ الحكم فى سبأ باسم مكرب سبأ وكلمة مكرب أي الذي يجمع بين السلطة الزمنية والروحية يقابله فى دولة معين مزود ومعين وسبأ وحمير كلها ترجع الى قحطان واليكم اسماء من وجدناه فى مأرب من النقوش الحميرية.

1 ـ يثع أمير
2 ـ ذمار على
3 ـ يدع آل بن ذمار على
4 ـ كرب آل وتار بن ذمار على وهذا كرب آل وتار المشهور ملك سبأ وذي ريدان.

ثم تحول مكرب سبأ الى ملك سبأ ومنهم ذمار عل ذرح أي الشريف أو السامى وسمة على ذرح وكرب آل بن سمة على وآل شرح بن سمة على ويدع آل وتار وغيرهم وكلمة وتار معناها العظيم فهى لقب شريف مثل ذرح وينوف واخر ملوك سبأ هو الملك يريم أيمن. كل هذه الاسماء من مكارب وملوك عثرنا عليها فى مأرب وهو تأكيد لما نشره فلازر وهالفى ومولر وغيرهم من علماء الاثار الذين وصلوا الى اليمن.

سبب انقضاء دولة سبأ :

ان اهم اسباب انقضاء دولة سبأ هو تهدم السد وكان ذلك جزاء كفرهم بالله قال تعالى « فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ».

كما قال تعالى : « ومزقناهم كل ممزق ». وقد جاء ذكر دولة سبأ فى القرآن الكريم فى سورتين كما حكى عن ملكة سبأ التى وفدت على سليما عليه السلام واسلمت وتركت عبادة الشمس وكان ذلك فى القرن العاشر قبل الميلاد ولعل قومها اسلموا واستمروا نحو قرنين

أو ثلاثة ثم عادوا الى الوثنية. ويبدأ ذلك من القرن السابع قبل الميلاد كما سبق في النقوش واستمر الحكم السبئي الى سنة 115 قبل الميلاد وذلك بانتقال عاصمة السبئيين الى ريدان وحضرموت كما سيأتي في العصر الحميري الاخير.

ملوك الطبقة الثانية من حمير أو التبابعة ومفردة تبع :

تختلف دولة حمير عن سابقتها من دول سبأ ومعين كوّن دولة حمير أو التبابعة دولة حربية فاتحة اتجهوا للفتح خارج اليمن ومنهم ذو القرنين الذي طاف الارض وبلغ مطلع الشمس ومغربها واسمه الصعب بن مالك بن زيد كما جاء ذلك عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس وانه نبى أو ولى لقمان وعمرين والخضر.

ووجدنا فى النقوش شمر يعرعش تلقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت فى الطود والتهائم وهو أول ملك من الطبقة الثانية من التبابعة تلقب بهذا اللقب ومن هذه الطبقة أي طبقة التبابعة أو العصر الحميري الاخير ذو القرنين الموصوف فى القرآن الكريم فى سور الكهف ومنهم افريقس التى سميت باسمه قارة افريقيا وابو كرب اسعد وشرحيل آل يعضر بن اسعد وهذا حاول ترميم سد مأرب واعادته وذكر ما صرف من الدقيق والحيوانات والتمر والدبس وذلك موجود فى نقش من مأرب وفى ظفار ومنهم تبان اسعد وهو الذي عاد من غزوة ومر بمكة وكسا الكعبة وهو أول من كسا الكعبة وجعل لها مفتاح وهو الذي اطلع على دين اليهود وهو التوحيد فآمن به واخرج معه الى اليمن حبرين من احبار اليهود لنشر الدين اليهودي فى اليمن رضى الله عنه وحسان اسعد ولم نعثر على كلمة حسان فى النقوش واخر التبابعة ذو نواس الذي احرق نصارى نجران بتحريض من اليهود اعداء النصارى وكان ذلك سبب خروج الاحباش وانقضاء دولة حمير.

الدول المعاصرة لدول سبأ ومعين :

1) دولة قيبان كانت عاصمتها تمنع فى بيحان وهى فرع من قحطان وحمير وقد قامت بتشييد حضارة لا تقل عن حضارة سبأ وحمير وأستولت عليها دولة حضرموت بعد حروب مدمرة وقد تركت اثارا بالخط المسند الحميري وتماثيل وتختلف لهجتها عن لهجة سبأ كما هو موجود فى اللهجات فى القبائل المختلفة ثم اندمجت فى دولة سبأ وذي ريدان.

2) دولة حضرموت عاصرت هذه الدولة دول سبأ ومعين وهى فرع من قحطان وشيدت حضارة مثل حضارة سبأ وحمير ومن عواصمها شبوة ومن مدن حضرموت الاثرية دمون وتريم وشبام وغيرها وهى موجودة فى الخط الحميري المسند ثم اندمجت فى دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت فى العصر الحميري الاخير هذه نبذة بسيطة عن تاريخ قطرنا العزيز مهد الامم العربية السامية ومنبع الحضارة.

الاثار الموجودة الى الآن :

قبل أن نأتي على المناطق الاثرية فانني اذكر في هذا البحث أو المحاضرة كما هو مصطلح الان فانني اذكر ملكين كبيرين من ملوك الطبقة الاولى الحميرية أي ملوك سبأ وذي ريدان والملكان هما كرب وتار الذي سجل فتوحاته في عمود النصر الموجود في مأرب وصرواح خولان وحارب الاحباش في القرن الثالث قبل الميلاد واسر هو وملوك آل شرح يحضب ولد النجاشي ملك الحبشة والملك الثاني من هذه الطبقة هو شعراوتر الذي احاط صنعاء بالسور الموجود الى الان وعقد هذا الملك صلح مع الحبشة وبعد هذا فلنعد الى ذكر المناطق الاثرية وهي :

1) اثار سبأ لابدّ أولا ان نبدأ بكلمة قصيرة عن الحضارة والبنيان فنقول اهل اليمن متحضرون من قديم الزمان وقد ساعدهم على ذلك ثروة اليمن العظيمة وموقعها الجغرافي والنشاط الزراعي والصناعي والتجاري ولهذا فقد بالغوا في زينة البيوت وتنافسوا في تشييد القصور حتى ضرب بها المثل فلهم من الزينة ما يفوق الوصف فقد لبوا الخز واقتنوا آنية الذهب والفضة وغرسوا الحدائق والبساتين ما يفوق التصديق من الانية والاوعية على اختلاف اشكالها من الذهب والفضة وعندهم الاسرة والموائد الفضية والرياش من افخر الانسجة واغلاها، قصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب والمنزلة بالفضة يعلقون على افاريز منازلهم وابوابها محائف الذهب مرصعة بالجواهر ويبذلون في تزيين قصورهم اموالا طائلة لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة هذا ما جاء في تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان.

2) اثار مدينة سبأ ما تزال هذه المدينة ظاهرة وفيها الابنية المطمورة تحت التراب كالاكام وقد شاهدت عدة أعمدة قائمة فيها الا انها اخذت هذه الاعمدة عندما بنا الامريكيون مستودع هناك وسورها ظاهرة ايضا الا ان احجاره في الواجهة اخذت وفي هذه المدينة قصر القشيب نقل معظم احجاره احد عمال الامام يحى وبنا دار الحكومة الناصرة وبقى قسم من هذا القصر ظاهر وفي هذه المدينة قصر سلحين اكلي مرتفعة وفي اطرافيها نحو عشرة اعمدة ضخام جدا بنوا ما بينها واجهة المسجد الحالي وهذا المسجد يطلقون عليه مسجد سليمان وسقفه قائم على اعمدة من الزخام في غاية الحسن وتقام فيه الجمعة الجماعة وقصر سلحين المذكور قصر الدولة ويقال انه قصر بلقيس ولا اعتقد ذلك وهو من الدولة بمثابت القصر الجمهوري لان ارباب الدولة تجتمع فيه عند الحاجة وفي مدينة مأرب قصر غمدان كما وجدنا فيه النقوش ولا اعرف مكانه في المدينة وتبعد المدينة نحو (15) كيلومتر من سد مأرب العظيم وللمدينة باب غربي ظاهر وباب شرقي غير ظاهر وباب جنوبي ظاهر موقعها في الجنة اليسرى وعلى بعد اربعة كيلومتر الى جنوبها يقع محرم بلقيس أو معبد المر وفيه عدة اسطوانات قائمة وموجودة وفي حجة وجدنا الخطوط الحميرية، وتمثال ثلاثة اطفال موجودة بصنعاء في المتحف الوطني والمحرم بشكل دائرة قطرها (90) متر وبناءه في غاية من الدقة وللاسف فقد اخرب واجهته احد مشايخ عبيدة قبل دخول الجمهورية مأرب وعلى بعد (1000) متر توجد خمس دعائم

كبار صورتها فى النصف الريال الجمهوري يسمون هذا المكان هو بلقيس ولكنه محرم وجدنا ذلك فى اسطوانة مكسورة بجانب الخمس الاسطوانات أو الدعائم. وفى مأرب سدها العظيم ما بين جبل بلق الايمن والايسر وماصرف الماء وقسم من العرم باق وأول من بدأ بناءه يدع آل من مكارب سبأ ثم ابنه تبع امير وغيرهم وقد خلف المذكور اسماءهم على مصارف السد باق الى يومنا هذا ومن فروع سد مأرب سد الجفينة فى غاية الحسن والبناء ظاهر قوي ما عدا كسر قليل فى المصارف، ولعلكم تشاهدون ذلك فى التليفزيون فى معظم مناطق اليمن اذا لم نقل كلها.

2) صرواح خولان وهو مشهور وما يزال باب المعبد قائم وقسم من ركنه فيه بيت حميري ثلاث طبقات ولى صرواح عمود النصر للملك كرب آل وتال فى عمود كبيرة وعدة دعائم مكتوبة بالخط المسند الحميري ووجدنا فى النقوش اسم صرواح بن خولان ويقال أن صرواح كانت عاصمة سبأ الاولى والله اعلم.

3) اثار ناعط وقد وصف الهمدانى فى الاكليل اثار ناعط بكل اعجاب فقال : ومن كان ذا جهل بايام حمير باثارهم فى الارض فليأت ناعط وناعط فى ريده مسكن الهمدانى وكان فى ناعط قصور وبجانب ناعط اكانط وبها اثار مشهورة.

4) ريام وصرواح ارحب. ريام فى شمال ارحب وريام كما يقول الهمدانى انه المسك الاكبر كانت الوفود تحل احرامها فيه مع القربان وقد شاهدته ولم يلق الانقاظ مبعثرة فى رأس اكمة وقريب من ريام صرواح ارحب وبقي منه نحو (17) دعامة. وصرواح ارحب مكان اجتماع حاشد وبكيل عند الحاجة وقال الهمدانى ان قدام القصر فى ريام حائط فيه بلاطه فيها وصورة الشمس والقمر موضوعتان على جسر وسط المعبد وتظهر الشمس والقمر كل يوم على حسب دورة الفلك هذا ما قاله الهمدانى والله اعلم.

5) ظفار (ريدان) عاصمة حمير الشهيرة قال الهمدانى كان بظفار قصر ذي يزن وهو غير سيف بن ذي يزن وقد بنت الهيئة العامة للآثار ودور الكتب متحف ضم ما تحصلنا عليه من القطع الاثرية وموقع ظفار فى حقل يحصب يقول الشاعر وفى البقعة الخضراء ما ارض يحصب ثمانون سدا تقذف الماء سائلا وقد شاهدنا بعض هذه السدود اما بقية مبانى وقصور ظفار فلم يبق الا انقاظ مبعثرة هنا وهناك وقد نقلت الاحجار وبنى بها عدة قرى، وفى بعض البيوت نقوش ورسوم كما ان عامر عبد الوهاب نقل عدة اسطوانات فى بناء جامع العامرية وهى فى غاية الجمال محافظة على شكلها ومتانتها وقد سمعنا ان مدينة يريم الحالية اكثر بيوتها من احجار ظفار وقد بقى بعض جدار لاحد القصور ولعله قصر الملك لضخامة احجاره وجمالها ويطول بنا الحديث عن ظفار ولكن هذه لمحة صغيرة عن ظفار عاصمة التبابعة أو ملوك التبابعة من حمير كما سبق.

6) صنعاء :

صنعاء أول مدينة شيدت فى الجزيرة العربية ويقال ان اول من بدأ بنائها هو سام بن نوح

عليه السلام ما تزال تسمى مدينة سام وقد بنت وزارة الاوقاف فندقا ضخما اطلقت عليه اسم فندق سام. ولصنعاء اسم اخر معروف هو ازال، وفى النقوش التى وجدناها فى مأرب هجرن صنعو والهجر المدينة ويوجد فى صنعاء عدة نقوش فى محلات كبيرة فى البيوت والمساجد وقد احاط الملك شعرا وتر صنعاء بسور هو الموجود الان ومن اعجب اثار صنعاء قصر غمدان.

قصر غمدان :

قصر غمدان من عجائب البناء واعظمها وقد اختلف المؤرخون في زمن بنائه ومن الذي بناه من الملوك فذكرت فئة منهم أن أول من بدأ بناءه سام بن نوح عليه السلام وذكر آخرون أنه غيره ومهما يكن من الاختلاف فى زمن بناءه وبانيه فقد كان من اعظم البنيان فى وقته اذ بلغ من الاتقان ودقة هندسته ما جعله يفوق الوصف قال الهمدانى : وياقوت ان البانى له آل شرح يحضب غير أن بناءه كان تدريجا لان الملوك كانوا يتخذونه مقرا لهم وكان كل ملك يزيد فى بناءه طبقة أو اكثر الى ان بلغ عشرين سقفا كل سقف نحو عشرة ذراع. وكان كل وجه منه مبنى بلون خاص من الوان الحجارة مثل الاسود والاحمر والاخضر والابيض وكان فى كل ركن من اركانه تمثال اسد من النحاس وفى جوفه حركات مدبرة فاذا هبت الريح فدخلت اجواف هذه التماثيل سمع لها زئير كزئير الاسد وكان اعلاه غرفة من الرخام وقد اطبق سقفها برخامة واحدة اذا استلقى الرجل فى هذه الغرفة ميز الغراب من الحدأة من خلف الرخامة وقد وضع فى اعلاه مصابيح اذا اقبل الليل اسرجت فيشاهد بريقها من مسافة وكان فى الغرفة ستور فيها اجراس وكان للغرفة اربعة ابواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب وعند كل باب تمثال من النحاس مثل التى فى الاركان وكان فيه ساعة مائية تسمى (قطارة) وقد وضعت له صهارج فى اسفله لحفظ الماء وكان بنائه فى صنعاء وقد بقى الى زمن الخليفة عثمان بن عفان (ر) وهو الذي امر بخرابه أو عامله وما تزال اسسه وبعض انقاضه مرتفعة كالجبل وقد شاهد الهمدانى انقاضه وما بقى منه بعد خرابه وقد استعمل احجاره السوداء وهى الحبش احد ملوك آل يعفر الحواليين فى بناء الجامع الكبير وما تزال احجاره واسطواناته وبعض الرسوم على الاحجار ظاهرة حتى الان وفيه بعض النقوش الحميرية ومنها لوح من الباب الحديد فى غاية الدقة وفى آخر النقش اسم ملك حاز وموقع قصر غمدان اكمة سوق القضب والمحدادة والمنجارة ويمتد هذا المرتفع الى عقيل وداود والى حمام سبأ حاليا والحلقة وسوق السلب والجامع الكبير وبئر سام امام الباب الشرقى فى الجامع الكبير ويعتبر قصر غمدان من ناطحات السحاب حيث تغطيه ايام المطر. ومن القصور المشهورة فى اليمن قصر كوكبان وكان منطق بالفضة وما فوقها احجار بيض وداخله مزين بانواع الزينة ويقال ان الجن بنته وهذا من الخرافات الشائعة عند رؤية مثل هذه الابنية وقد عد الهمدانى عشرات القصور فى ظفار وناعط وبيت بوس وفى ريدة وهكر وغير ذلك مما لا يتسع الوقت لشرحها.

7) بينون وهى فى الحدا وفيها اثار عظيمة نفق مثل نفق عدن وقد دخلت نفق اخر فى بنى حديجة فى الحدا فى حدود عنس وكأنه قالب صابون وكان يستعمل لجري السيل وسقى ما

خلفه من الارض الزراعية وفى عنس حمة ذاب، وقد شاهدناها وفيها بقية جداد من الحجر الحبش الضخم الجميل كما يوجد فى عنس سد أضرعة وهكر وعدة قصور.

شبـوة

شبوة عاصمة خضرموت وفيها من الاثار والتماثيل ما لا يقل عن غيرها من المناطق الاثرية التى توجد فى كل بقعة وكذلك العقلة وفيها نقوش كثيرة نشر منها البعض وتمنع فى بيحان وقد اجرت البعثة الامريكية التنقيب فيها وعثروا على نقوش وتماثيل وفى الجوبة ومرخة والمخاء اثار حميرية كثيرة وعلى كل حال فآثار اليمن فى كل بقعة الا أننا تكلمنا عن اشهرها وابقاها.

غيمـان

وفى غيمان آثار عظيمة وقد عثر فيها على تماثيل ونقوش اكثرها موجود الا ان فى المتحف الوطنى بصنعاء ومن النحلة الحمراء وجد تمثال ذمار على وابنه الثائر وهما الان فى المانيا الاتحادية للترميم وفى النحلة الحمراء وتسمى بكلا قصر الصبايا جدار اسفله ظاهرة وفى غيمان مقبرة يفوت ويعوق وكان فى غيمان محل للاجتماع أو الخلوة وضعه الهمدانى فى الاكليل وقال وغيمان محفوفة بالكروم لها بهجة ولها منظر بها كان يقبر من قبلنا من أجدادنا وبها نقبر اذا ما مقابرنا بعثرت فحفو مقابرنا الجوهر.

آثـار ظهـر

وفى ظهر اثار كثيرة ويكتب ضهر بالضاد فقط وقد اطنب الهمدانى فى وصف وادي ظهر وما فيه من الاعناب المتعددة الالوان والحجوم وانواع الفواكه وهو الان جنة خضراء من جنات اليمن السعيدة أو اليمن الخضراء وهو منتزه صنعاء كما وصف الهمدانى اثار دافع فى انس ودافع هو ضوران الحالى وهو جبل انس بن الهان بن مالك بن زيد هذا ويطول بنا الحديث لو عددنا مآثر اليمن وحضارته التى بهرت العالم بدقة فنها واناقتها فحضارة اليمن اشهر من أن تذكر واخر ما نذكره الجوف.

الجـــوف

لا يعدل من اثار الجوف الا مأرب تقريبا ففى الجوف مدينة براقش سورها قائم الا القليل واسماء اهلها مكتوب فى هذا السور وقد شاهدت الجوف قبل (35) سنة ورأيت معين ومعبد ود وانقاظ كمنا والسوداء ومدينة البيضاء ولا استطيع وصف هذه المدية فسورها كأنه بنى قبل ايام ومكتوب فى كل برج من ابراج السور المستطيلة البارزة اسم البانى وهو يدع آل بن يتبع امير مكرب سبأ بناء هجره نشق ونشق اسمها وهو اسم قبيلة مشهورة وقصور نشق داخل السور انقاظ كبيرة واسطوانات مكتوبة من كل الجهات لم استطع انقل الا القليل منها لانها مدفونة تحت التراب.

السـدود

1) سد مأرب العظيم وقد سبق الكلام عنه وشهرته لا تحتاج الى ايضاح.
2) سد ريعان فى همدن قال الهمدانى لما خرب سد ريعان نقص غيل وادي ظهر الى النصف.
3) سد الحانق بصعدة بنى فى ايام سيف بن ذي يزن واخربه ابراهيم الجزار عندما خرب صعدة.
4) سد اخرعة وهكر فى عنس.
5) سدود ظفار.

ومما يلفت النظر أن فى كل محل صالح لحجز السيول اقاموا عليه سدا ولهذا كانت السدود اعظم مصدر للري ولهذا سميت اليمن الخضراء أو السعيدة وبوجود هذه السدود كثرت المياه السطحية والابار والغيول حتى قيل ان فى جبل نقم عدة غيول لم يبق منها الان الا عيون صغيرة لا تفيد فى الري أما الان فقد كثرت الارتوازات فى معظم المناطق اليمنية بعد قيام الثورة والجمهورية وذلك بالاستفادة من المياه الجوفية ولهذا فانه سيعود اليمن الى ماضيه المجيد وسيعاد سد مأرب على نفقة زايد بن سلطان قريبا كما تم مشروع وادي زبيد العظيم وكذا وادي سردد مما يبشر بخير كبير ان شاء الله.

التجـــارة

ان توسط اليمن بين أمم العالم القديم جعلته واسطة للتجارة بينما من اقدم ازمنة التاريخ فكان بين الهند واليمن علاقات تجارية لا يعرف اولها وكان الهند محصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والاشوريون والفينيقيون وغيرهم فكان اليمنيون ينقلون هذه المحتاجات الى تلك الامم فى سفنهم البحرية والقوافل البرية وكان لليمنيين على الشواطىء موانى متعددة وكان لهم فرضة اسمها (موزع) تصنع فيها السفن اليمنية الكبرى لقطع المحيط الهندي ولهذا السبب عمرت جزيرة سومطرة يومئذ لتوسطها فى طريق تلك التجارة ومن المدن المشورة فى شواطىء اليمن مدينة (عدن) (حصن) (غراب) (ظفار) (مسقط) ويغلب فى مسقط ان ترسوا عندها السفن الصاعدة فى خليج العرب الى بابل وكانت هذه السفن تحمل الذهب والقصدير الاحجار الكريمة والعاج والافاوية كالبهار والفلفل والقطن وانواع الطيب التى اخذت شهرة واسعة وتوجد فى اليمن مثل البخور واللبان وسائر الروائح وقد قيل ان شذى بلاد العرب يفوح من مسافات بعيدة وكان اليمنيون يزودون الهياكل بالبخور والطيب لضرورة استعمالها فى الهياكل بسبب كثرة الروائح الناتجة من تقديم القربان التى كانت تذبح فيها. ولما كان لليمنيين اسطول قوي امكنهم الاتصال باقصى الشرق والغرب فيجلبون ما يناسب ذلك حسبما تدعو اليه الحاجة وقد برعوا فى فن الملاحة وعرفوا الاتجاهات بواسطة الشمس والكواكب وكان اليمنيون سابقون لغيرهم حيث ضربوا باساطيلهم عرض البحار وطولها فكانوا بحق سادة البحار وتجار العلم قال المسيو جيان (فى كتابه وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية) قال قبض

العرب منذ عصور واغلة فى القدم على زمام التجارة البحرية فى الشرق فكانت سفنهم هى الوحيدة التى تمخر عباب المحيط الهندي وهى التى اسماها الهنود (عربيتة) ولما ارسل الاسكندر المقدونى قائد اسطوله لاكتشاف بحر الهند وجد بسواحل (جروزيا) اثارا دالة على نفوذ العرب من مدن عربية واساطيل عربية بل طرقت سمعة هناك الفاظ عربية (نقلا عن مجلة المقتطف وكتاب الرواد ص (92)) ويقول المؤرخ الرومانى بلينوس أن التبابعة ملوك اليمن عرفوا جميع ممالك افريقية الشرقية وجزرها وكان لهم عليها شيء من السلطة وكانوا يتجرون مع اهلها بالافاوية والطيوب وغيرها وقد حرموا على عامتهم الاتجار بهذه الاصناف لئلا يفشوها أو يبيعوا سرها لليونان والرومان على زعمهم (مجلة المقتطف أيضا) وكانوا ينقلون تجارتهم الى مصر والعراق واربنية وشواطيء البحر الابيض. أما بحرا عن طريق البحر الاحمر والخليج العربى أو برا بواسطة القوافل ولهذا عمرت مرافئهم ومحطاتهم التجارية وكان اعظم موانئهم شهرة (عدن) وحصن غراب وعمان وظفار ويتما فى الشمال وغزة المطلة على البحر الابيض المتوسط وكانوا ينقلون تجارة مصر بواسطة ارينوت وبيوس وهو موس وهى الموانى المصرية القديمة فى الشاطيء الغربى للبحر الاحمر وقد بقيت تجارة اليمنيين واسطة النطاق رائحة الاسواق الى ان اذنت شمس دولتهم بالمغيب وامتدت سلطة منافسيهم من الرومان على البحار الواسطة حتى تصل الى نجد والعراق والشام. قال الله تعالى سبحان وتعالى فى سورة سبأ « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وإياما امنين » وقد فسّر الجلالين القرى المباركة بقرى السام والقرى الظاهرة ممتدة من اليمن الى الشام وبذلك كانت البلاد العربية مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا بسبب طرق المواصلات ...

اثر اليمن فى الفتوحات الاسلامية

كلنا يعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين وخاتم رسله الكرام وكلنا يعلم أن رسول الله مكث فى مكة (13) سنة يدعو قومه الى عبادة الله وحده لا شريك له ونزل عليه الوحى نحو ثلثى القرآن الكريم وهى السور المكية تلفت النظر الى قدرة الله تعالى فى الكون وتؤكد أن العبادة والخضوع لا يكون الّا لله وحده وترك عبادة الاصنام والايمان بالبعث والايمان بالملائكة والرسل والكتب السماوية فلم يستجب قومه لدعوته ولم يتركوا تعذيب من آمن به ورموه تارة بالجنون وتارة بالسحر وآذوه وهو لم يطلب منهم أجرا على تبليغ الرسالة كسائر الانبياء وانما يطلب منهم عبادة الله وحده ونبذ الشرك ويأمرهم بمكارم الاخلاق التى يستقيم عليها شأن الامم فمن الذين نصروا الاسلام ونشروه شرقا وغربا انهم اليمنيون من الاوس والخزرج الذي تبوؤا الدار والايمان وهم الانصار الذي مدحهم الله تعالى فى كتابه العزيز والمهاجرون من قريش الذين فروا بدينهم الى مكان امين وقوم أهل حمية وشجاعة واخلاص قال تعالى « ومن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم قال رسول الله (ص) لما نزلت هذه الآية هم قوم هذا واشار الى ابى موسى الاشعري وقال الايمان يمان

والحكمة يمانية فجاهدوا مع رسول الله (ص) فى حروبه مع المشركين ورسخت الدولة الاسلامية فى المدينة وفتحت مكة على يد الانصار من الاوس والخزرج والمهاجرين وعلت راية الاسلام وجاءت وفود اليمن معلنة اسلامها فقال رسول الله (ص) جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحمة يمانية.

اليمنيون فى الفتوحات الاسلامية

ولما لحق رسول الله (ص) بالرفيق الاعلى وقام ابوبكر (ر) عنه بالخلافة ارتدت معظم القبائل ومنعوا الزكاة ماعدا اليمن فانه ثبت على اسلامه الا ما كان من الاشعث بن قيس من مخلاف حضرموت لكنه عاد الى الاسلام وقدم على ابى بكر فزجه بغتة.

فتح الشام والعراق أو دولة الفرس والرومان

استنفر ابو بكر قبائل اليمن فجأة فى يوم واحد عشرون الفا والف بسلاحهم وخيلهم قال ابو الكلاع الحميري جاءتك حمير بالاهلين والولد اهل السوابق والعالون فى الرتب فأرسل ابو بكر (ر) نصفهم لفتح فارس والنصف الثانى لفتح الشام وفيها دولة الروم اكبر دولة فى العالم هي والفرس فسير قبيلة همدان الى العراق وسير قبيلة مرجح الى الشام فكان لليمنيين السبق الاول فى فتح العراق والشام.

فتح مصر

تولى عمرو بن العاص فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ر) فتح مصر ومعظم حبشة من اليمنيين وبعد فتح مصر استقر الكثير من اليمنيين فى مصر وهم موجودون الى الان فى منطقة الجيزة فى القاهرة والمنوفية والمنيا وغيرها. أما صعيد مصر فهم من اليمنيين الذين هاجروا قبل الاسلام بنحو ثلاثة قرون، وفى الجيزة شارع همدان وشارع يافع وفى العباسين شارع ريدان عاصمة حمى فى ظفار ولم يقتصر اليمنيون على مصر فقط بل اتجهوا الى شمال افريقيا حتى قال وزير الاوقاف الجزائري عندما زار صنعاء بعد الثورة هنا مهد الاجداد وهناك قبائل فى المغرب من قبل الاسلام مثل قبيلة صحاجة وكتامة وبزتة حتى قال بعض علماء التاريخ والاثار ان اليمن معمل البشرية لكثرة الموجات التى هاجرت من اليمن هذا وبعد فتح شمال افريقيا اتجهت الفتوحات الى الاندلس وماتزال اسماء محلات فى الاندلس الى اليوم مثل قلعة همدان. ونبغ من القادة اليمنيين وكونوا امارات فيها كعبد الرحمن الغافقى والسمح بن مالك الخولانى. ودولة بنى الاحمر ربما كانت دولة يمنية وقد قيل أن فى الوادي الكبير فى اسبانيا مطاحن تعمل على الماء مثل المطاحن التى كانت وادي بنا. والحاصل أن شعب اليمن له دور كبير فى الحضارة القديمة وبعد ظهور الاسلام ونبغ من اليمنيين علماء فى الحديث وأئمة مثل الامام مالك بن انس الاصبحى والليث والاوزاعى وغيرهم وناهيك عن مسند عبد الرزاق فى الحديث والذي قصده الامام الشافعى الذي قال لا بدّ من صنعاء، وان طال السفر ونقصد القاضى الى هجرة دبر والمفنى لعبد الجبار وأول من دون الحديث فى اليمن معمر

وقبره بمسجد النزيلي بصنعاء كما نبغ علما فى اليمن أئمة مجتهدون مثل المقبلي والشوكاني والامير والجلال واحمد بن يحى المرتضى والامام يحى بن حمزة وغيرهم ولهؤلاء عدة مؤلفات ماتزال اكثرها مخطوطة ومحفوظة فى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ومن اليمن الادباء المشهورين والمؤرخين والنجاة واللغويين وعلماء الفلك والطب وكل هذه المخطوطات موجودة في صنعاء وزبيد وذمار وحوث وصعدة وتعز وعدن وحضرموت فضلا عن المخطوطات التي تسربت الى خارج اليمن فى بريطانيا وفرنسا والمانيا وإيطاليا والنمسا وهولندة وتركيا كما ان القطع الاثرية والخطوط الحميرية فى معظم هذه الاماكن وقد نقل فلازر مئات النقوش فلا غرابة اذا وجدنا الان علماء الاثار والسواح يفدون الى اليمن من كل مكان بعد أن فتح اليمن ابوابه بعد قيام الثورة والجمهورية للاطلاع على حضارته وتاريخه المشرق عبر العصور واخيرا اختم هذا الحديث المتواضع نبذه عن الخط المسند الحميري.

الخط المسند الحميري

سمى الخط الحميري بالمسند لان حروفه مكونة من خطوط عمودية وافقية ومائلة مستقيمة ويكتب عن اليمين الى اليسار وأحيانا يعود السطر من اليسار الى اليمين، وان كان هذا قليلا ويفصل بين كل كلمة واخرى بخط عمودي ولهم قواعد خاصة فى الخط المسند فتحذف حروف العلة مثل الالف والواو والياء اذا جاءت فى وسط الاسم وقد اتبعت هذه القاعدة فى رسم المصحف الشريف مثل الرحمن والسماوات فان الالف محذوفة تبعا للقاعدة الحميرية كما ان جمع التكسير يأتى فى النقوش على وزن افعل مثل أولد وأثمر ويلحقها حرف ميم علامة جمع التكسير مثل اولدم اذكرم أي اولاد ذكور كما أن الميم علامة الاسم المنصرف بدل النون فى العربية الحالية فخالد يكتب فى الحميرية خلدم محذوف الالف والميم علامة الاسم المنصرف بدل النون ومثل هذه القاعدة فى البابلية مما يدل على الارتباط الوثيق بين حضارة بابل واشور وحضارة اليمن.

والنون فى اخر الاسم علامة التعريف مثل فرسن الفرس وملكن الملوك الى آخره، وما تزال هذه القاعدة مستعملة الى اليوم مثل شمسان الشمس وكوكبان الكوكب وردفان الردف وغير ذلك وبعضها اسماء اشخاص مثل عمران والهان هذا وقد انتشر الخط المسند فى جميع جزيرة العرب وقد اشار الى ذلك جواد على مؤلفة العرب قبل الاسلام، ومن فروع الخط الحميري الخط التمودي نقلته تمود والخط الحبشى الذي يستعمل الى الآن ولا يختلف عن الخط الحميري تقريبا، نقلته الاقوام التى هاجرت من اليمن عن طريق مضيق باب المندب فى عصور قديمة وكونت دولة اكسوم التى لا تختلف حضارتها عن حضارة اجدادها اليمنيين فى سبأ وحمير.

وقد قرأنا عندما زار هيلسلاس وقدم وسام سبأ لشارل الحلو. وكلمة حبشة يمنية ولهذا فان سكانها القدامى يرفضون هذه التسمية لانها تدل على ان منشآهم اليمن ويسمونها اثيوبيا للتخلص من كلمة الحبشة لانها يمنية ولم يعرف اسم اثيوبيا الا قريبا. فالمؤرخون لا يذكرون

الا اسم الحبشة والنجاشي الى آخره، هذا وبعد الخط الحميري اقدم الخطوط واليكم ما قاله الاستاذ سايس قال : اذا ذهبنا الى ان مصدر الحروف ونشأتها كان فى بلاد العرب يكون احسن حل لهذه المفضلة لان اسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها ادنى شبه فى كثير من الاحوال للرموز والاشارات التى تدل عليها فان تناولنا مثلا الحرف الاول وهو (ألف) (ثور) فان اسم الالف يشابه كل المشابهة رأس ذلك الحيوان فى الكتابة المعنية، هذا واذا امعنا النظر فى الحروف الهرغليفية وهى الحروف المصرية القديمة فلا نجد شبها لذلك الحرف، وان المكتشفات المقبلة فى بلاد العرب ستوقفنا على ابناء الشعوب التى سكنت تلك الاصقاع ومصرتها قبل عصر التاريخ هذا ما قاله الاستاذ سايس الانكليزي ومعلوم ان اليونان وغيرهم انما اقتبسوا الحروف من الفينيقيين ألف باء وبما ان الفينيقيين هاجروا من الجنوب واستقروا أولا فى شرق الجزيرة فى محاذات الخليج العربى ثم نزحوا الى فلسطين واستقروا فيها وسيطروا على سواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية مثل عزة وصيدا وعكا الى آخره واتصلوا باليونان وجزر البحر الابيض المتوسط وجنوب ايطاليا واقتبس هؤلاء منهم الخط أو الحروف، وبما ان كلام سايس يدل على ان الحروف المعنية اقدم من الفينيقية فان الخط المسند على تعبير هذا العالم هو أول خط وضع لتدوين الافكار والخط المسند المعينى هو نفسه الخط المسند الحميري والكل باق الى الان وفوق كل ذي علم عليم والحمد لله رب العالمين.

16 شهر محرم الحرام سنة 1400 هـ
1979/12/5 م